فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم
من سلسلة "شرح الأربعين النووية"
الحديث الثالث والعشرون
لفضيلة الشيخ: هاني حلمي
رابـط الـمـادة: http://www.way2allah.com/khotab-item-68363.htm

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وكفى وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا المصطفى وآله المستكملين الشرف، أما بعد:

الحديث الثالث والعشرون: من جوامع العمل الصالح

فعن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "الطُّهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها" هذا الحديث أخرجه مسلم في أول كتاب الطهارة باب فضل الوضوء.

النبي –صلى الله عليه وسلم– بيَّن لنا في هذا الحديث العظيم الذي يقول عنه الإمام النووي: "أنه أصل من أصول الإسلام"، وقد اشتمل على مهمات من قواعد الإسلام، اشتمل الكلام على الصلاة وعلى الصدقة والصبر والعمل بالقرآن، وفيه أيضًا تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في إثبات الوزن والميزان يوم القيامة ونص على ذلك أهل السنة في عقائدهم ومن ذلك قول الإمام أحمد: "والإيمان بالميزان يوم القيامة كما جاء في الحديث يوزن العبد يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة".

الوزن.. أنت توزن، عملك أيضًا يوزن، الوزن يكون ميزان حقيقي وكفة الميزان لو وضعت فيها السماوات والأرض وما فيها لوسعتها، يعني كفة الميزان شيء عظيم جدًا، كبير جدًا، شاسع جدًا ؛ فالحديث يوضح أن الأعمال توزن يوم القيامة.

معاني مفردات الحديث:

هيا ننظر في شرح هذا الحديث شرحًا مجملاً وننظر في مفردات الحديث التي تحتاج إلى بيان النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول "الطهور" لو قلنا الطَّهور بفتح الطاء تكون اسم لما يتطهر به، لو قلنا الطُّهور تكون فعل الطهارة يعني لو قلنا الطَهور، النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول "الماء طَهور" إذن الماء الذي تتطهر به اسمه طَهور بفتح الطاء، لو قلت الطُهور يكون معناها الطهارة فعل الطهارة، أنك تتطهر الآن إذن بالفتح يكون معناها الشيء الذي تتطهر به –كالماء– لو بالضم يكون معناها الطهارة أي المصدر، والطهارة معناها التنزه عن الدنس سواء كان حسي أو معنوي، انتبهوا إلى هذا الكلام لكي نقرر من الآن مجموعة من القواعد التربوية خاصة بهذا الحديث "الطهور

شطر" كلمة شطر تعني نصف "الطهور شطر الإيمان" وقال النبي –صلى الله عليه وسلم– "والحمد لله تملأ الميزان" بيّنا معنى الميزان "وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض والصلاة نور" كلمة "نور" انتبهوا لأن الحديث ذكر شيئين، قال: "الصلاة نور" وقال: "الصبر ضياء" الاثنين تتكلم على ضوء ونور، إضاءة، ما الفرق بينهما؟ النور: هو الضوء الذي لا حرارة فيه، أما الضياء: فإنه نوع من الحرارة والإحراق.

لذلك ربنا قال "وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا" نوح:١٦ وعبر عن الشمس بالضياء؛ لماذا الشمس ضياء؟ قالوا: لأنها المصدر فيها إحراق وإشراق، إنما القمر لماذا نور؟ لأنه ثابت علميًا أن ضوء القمر هو انعكاس لضوء الشمس عليه فيكون نور بدون حرارة الضياء نور وحرارة.

"برهان" ماذا تعني كلمة برهان؟ لأن أكثرنا يفهم هذا الحديث خطأ، ماذا يعني قول النبي –صلى الله عليه وسلم– "والصدقة برهان" دليل صح، كلنا يفهم أنها دليل، برهان: أصلها الشعاع الذي يلي وجه الشمس، لا أحد يعرف ذلك أبدًا الكل يقول والصدقة برهان، أي الصدقة دليل، "الصدقة برهان"، برهان معناها: شعاع الشمس، الشعاع الذي يلي وجه الشمس، "والصبر": معناه في اللغة الحبس والمنع، وقال في آخر الحديث –صلى الله عليه وسلم– "كل الناس يغدو" ماذا تعني يغدو؟ يعني يسعى ويطلق على السير أول النهار وضده السير آخر النهار، ماذا يسمونه؟ الرواح والغدو هو أن تمشي بين الفجر إلى طلوع الشمس وهذا اسمه الغدو، "بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ" النور:٣٦ بالغدو الذي هو أي وقت؟ بعدما تصلي الفجر من هذا الوقت حتى شروق الشمس اسمه الغدو، أما الرواح فيكون السير آخر النهار، "كل الناس يغدو فبائع نفسه" أي الإنسان الذي يبيع نفسه ويذهبها ويزهقها فبائع نفسه "فمعتقها"، أي منجيها من العذاب "أو موبقها" أي مهلكها، هذا الشرح الإجمالي ونأخذ الفوائد.

معاني كلمة الطهارة في القرآن:

أول كلمة في هذا الحديث الطُهور بضم الطاء يعني الطهارة "الطهور شطر الإيمان" نصف الإيمان ماذا تعني الطهور شطر الإيمان؟ أولاً يعني إيه طهور؟ نحن ذكرنا أنه في اللغة معناه التنزه، فما معناه في الشرع؟ جاء في القرآن معنى الطهارة بسبعة معاني هيا نرى الآيات ونعرف المعاني..

١ــ ربنا بيقول "وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ" الحج:٢٦ ويقول "فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ" عبس١٣:١٤ الطهارة هنا تعني: الطهارة من الشرك "وَطَهِّرْ بَيْتِيَ" ليس معناها نظف البيت ليس هذا المعنى الأساسي، المعنى الأساسي طهرها من الشركيات عندما يقول "فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ" أي مطهرة من الشركيات، إذن أول معنى الطهر والتنزه من الشرك.

٢ــ الطهارة بمعنى التنزه من الريبة، من الشكوك، من الشبهات، ربنا يقول "ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ" البقرة:٢٣٢، ويقول "وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا" لو سألتم أمهات المؤمنين عن شيء من أمور الدين "فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ" الأحزاب:٥٣ أي أدعى عن انتفاء الريبة، نبتعد عن قيل وقال ولماذا يكلمها؟ وماذا قال؟ وماذا فعل؟، إذن نبتعد عن ذلك، إذن المعنى الأول: الطهارة من الشرك، الثاني

الطهارة من الريبة.

٣ـ بمعنى الحِّل، عندما قال سيدنا لوط "هَؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ" هود:٧٨ "أَطْهَرُ لَكُمْ" ماذا تعني؟ أحلُّ لكم، تَزوَّجوا النساء وأجتَنِبوا اللواط والشذوذ.

٤ـ جاء الطهور بمعنى الطهارة من الذنب "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ" التوبة:١٠٣ "تُطَهِّرُهُمْ" أي من الذنوب، "وَصَلِّ عَلَيْهِمْ" أي ادعُ لهم.

٥ـ جاء في القرءان معنى الطهارة بمعنى الطهارة من الحيض للنساء قال الله "لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَة" النساء:٥٧ الحور العين، "أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ" ماذا تعني؟ يعني ارتفع عنهم ما يعتري النساء في الدنيا من الحيض والنِّفاس.

٦ـ جاء بمعنى التنَزُّه عن إتيان الرجال "أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ" النمل:٥٦ ماذا تعني "يَتَطَهَّرُونَ"؟ يعني لا يأتون الرجال والعياذ بالله.

٧ـ لمَّا ربنا –سبحانه وتعالى– تكلم عن مسجد قِباء قال "فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ" التوبة:١٠٨ ماذا تعني "يَتَطَهَّرُواْ" هنا؟ جاء بمعنى الاستنجاء بغسل آثار البول والغائط بالماء، كان عندهم شيء قبل ذلك كانوا يستخدمون الحجارة وتسمى الاستجمار، فهؤلاء الناس أهل قِباء كانوا يتنَزَّهون عن البول والغائط بالماء فمدحهم الله وقال "فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ" ومن السنَّة الجمع بينهما أي بين الاستجمار والاستنجاء بالماء، التي هي الآن أصبحت يستنجى بالماء وبعد ذلك يستخدم المناديل مثلاً، لكي يكون أبلغ في التحرُّز من أثر النجاسة.

إذن ماذا تعني هنا كلمة الطهور "الطُهور شَطر الإيمان" اختلف العلماء في هذا المعنى، والراجح فيه وما عليه أكثر أهل العلم أن المُراد بالطُهور هنا: التطَهُّر بالماء من الأحداث، أي الطهارة المعلومة في كتب الفقه، وقال بعض أهل العلم المقصود التخلي عن الشرك، وقالوا المقصود ترك الذنوب، الطهور بالمعاني الواسعة التي ذكرنا بعضها في القرآن، لكن المعنى الذي عليه أغلب وأكثر أهل العلم ولذلك الإمام مسلم بدأ بهذا الحديث أبواب الوضوء لكي ينبه على أن "الطُهور شَطر الإيمان" إن المقصود هنا الوضوء والغُسل والتيمُم أي الطهارة بمعناها الفقهي الشامل، ماذا تعني "الطُهور شَطر الإيمان"؟ لماذا نصف الإيمان؟

بدأ العلماء يتكلمون لماذا نصف الإيمان؟، لِمَ لَمْ يقل ثلث أو ثلاث أرباع أو الطهور من الإيمان، لماذا قال نصف الإيمان؟ قالوا لأن المقصود هنا بالإيمان وهذه من متطلبات الصلاة ، وما دخل الصلاة هنا؟!

قال لك ربنا قال "وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ" البقرة:١٤٣ وهو يتكلم عن تحوُّل القبلة فالصحابة قالوا: والصلاة التي صلوناها من قبل ناحية بيت المقدس ما مصيرها؟ قال الله تعالى "وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ" أي صلاتكم لماذا قال هذا؟ لكي يدلل على أن العمل من الإيمان، الصلاة من الإيمان والزكاة من الإيمان والصيام من الإيمان والحج من الإيمان، فماذا قال؟ "وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ" قال أهل العلم: أي صلاتكم، التي هي إطلاق العام وإرادة الخاص، هو جزء فأطلق الكل وأراد الجزء.

إذن "الطُهور شَطر الإيمان" فالطهور معناه الطهارة، وشطر الإيمان شطر الصلاة، والصلاة من أعظم أعمال الإيمان،

حتى لم يُختلف إلا حولها في كون تارك هذه الصلاة يخرج عن الملَّة أو لا يخرج عن الملَّة لقول النبي –صلى الله عليه وسلم– "العَهدُ الذي بَينَنا وبَينَهُم الصلاةُ، فمن تَرَكَها فَقَد كَفَرَ" صححه الألباني

فهذه المعاني تعظيم قدر الصلاة، هذا الكلام أنا جئتكم به من الآخر لأن هناك كلامًا كثيرًا جدًا عند أهل العلم في بيان معنى الإيمان هنا "الطُهور شَطر الإيمان" لكن هذا القول الأخير في المسألة، القول الراجح في المسألة، وانتصر له الإمام النووي، وانتصر له ابن رجب في جامع العلوم والحكم وهو يشرح هذا الحديث.

لماذا إذن الصلاة والإيمان والطهارة؟، قال لك أن الصلاة مفتاح الجنَّة، ومفتاح الصلاة الوضوء، فبالتالي كأنه يقول أنه إذا كان هذا مفتاح هذا، مفتاح الجنة الصلاة، ومفتاح الصلاة الوضوء، فمن أعظم الشروط لصحة الصلاة الطهارة، لذلك قال أن "الطُهور شَطر الإيمان" هنا معنى تربوي نقف عليه، النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "الطهور شطر الإيمان" وهنا نأخذ أصل تربوي العلماء قالوا: التزكية، إن الإنسان يُزكي نفسه على أساسين: هما تخلية وتحلية، أما التخلية فهنا عُبِّر عنها بـ "الطُهور شَطر الإيمان" وبعد ذلك يقول "والحمد لله تملأ الميزان" كأن هذه التحلية، نحن عندنا تخلية وتحلية، الطهور: أن أتنزه عن العيوب، أتنزه عن الآفات، أتنزه عن الذنوب والمعاصي، إذن "الطُهور شَطر الإيمان" معناها هنا هذا الأصل التربوى من أنَّ التخلية نصف أمر التزكية الذي هو عليه مدار الإيمان، إذن أول شيء "الطُهور شَطر الإيمان".

دليل إثبات الميزان

والأصل الثاني: "والحمد لله تملأ الميزان" أول فائدة أن النبي قال الميزان وقلنا هنا فيه دليل على إثبات الميزان، هذا دليل على أن هل الحمد يُجسد؟ قال "تملأ الميزان" هل معناه انه يُجسد في جسد؟ قالوا: ربما، لا نقدر أن نقطع، لكن يعني إما المعنى: لو كان الحمد جسدًا لملأ الميزان، أو لو جُسد ثواب التلفُظ به جبل مثلاً لملأ الميزان.

وقيل: بل الله تعالى يُمثل أعمال بني آدم وأقوالهم صورًا يرونها يوم القيامة، يعني ينظر يجد هذا الحمد كتلة هكذا، هذا التسبيح، هذه الصلاة، هذا كذا، تتجسد في كُتل، كما قال النبي –صلَّى الله عليه وسلم– والحديث في مسلم "اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتا –أي سحابتين– أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف... " صحيح مسلم

أي: أو على هيئة طير، إذن الأعمال تُجسد وهذا الدليل عليها.

معنى الحمد وأركانه

"والحمد لله تملأ الميزان" ماذا تعني الحمد لله؟ الحمد لله يعني الثناء على الله –عز وجل– بجميل صفاته على قصد التعظيم وهو مما أُختُصَّ به الله، لذلك قال ربنا –عز وجل– "الحمد لله" قالوا اللام هذه لام الاستحقاق، أي: الحمد لا يستحقُه أحد إلا الله، الذي هو أن تثني عليه على صفة التعظيم له –سبحانه وتعالى–.

أركانه: حامد –واحد بيحمد ربنا–، محمود.. وهو الله، لذلك سمى نفسه الحميد أي المحمود –سبحانه وتعالى– ، محمود به.. على أي شيء تحمده؟ على النعم التي أنعم بها عليك، محمود به إما محمود به بكذا وكذا وكذا من الصفات ومن الأعمال، ومحمود على نعم وعلى أشياء امتن بها عليك.

يكون محمود به ومحمود عليه، صيغة تقول الحمد لله وكفى، تقول اللهم لك الحمد كله وإليك يرجع الأمر كله، تقول ألف حمد وشكر ليك يا رب، تقول كما تقول أي صيغة من صيغ الحمد.

قال العلماء: الحمد فعل ينبئ عن تعظيم المُنعم فالذي يحمد الله لابد أن يكون من داخله إحساس بعظَمَة الله وهو يحمده، عندما تكلمنا سابقًا عن أسباب الاستقامة قلت لكم: من أسباب ذلك الحمد عندما قلنا الصراط المستقيم لماذا قال "وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ"؟ الحج: ٢٤

قلت لكم: لأن الحمد يجعلك على صراط مستقيم، فاستمر دائمًا تلهج بالحمد، الحمد لله الحمد لله الحمد لله حتى تشعر بطعمها في قلبك ويكون لها تعظيم وقدر في قلبك.

يبقى قالوا: تعظيم المنعم ويتعلق بالقلب، كيف ذلك؟ كيف يكون القلب حامد؟ قال لك بالمعرفة والحب، وكيف يكون اللسان حامد؟ قال بالثناء والاعتراف، وكيف تكون الجوارح حامدة؟ قال باستعمالها في الطاعة وكفّها عن المعصية.

إذن ثلاث أشياء: كيف يكون قلبك حامد؟ بالمعرفة والحب، لسانك يكون حامد؟ بالثناء والاعتراف، لك الحمد ولك النعمة ولك الثناء الحسن، لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وكيف تكون الجوارح حامدة؟ قال بأنك تصرفها في الطاعة وتبعدها عن المعصية، هذا معنى "الحمد لله" التي "تملأ الميزان"، الميزان الذي سوف يوزَن فيه الأعمال يوم القيامة، وكلنا ذاك الرجل يوزَن عمله يوم القيامة.

سبحان الله: تنزيه وتقديس

بعد كدا قال: "وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض" الشك هنا قالوا: من الراوي يا إما تملأ أو تملآن، يا إما هما معًا سبحان الله والحمد لله تملآن السماوات والأرض، أو ما بين السموات والأرض، أو واحدة منهم كل واحدة منهم على حدة تملأ، سبحان الله تملأ، والحمد لله تملأ.

هنا ماذا تعني "وسبحان الله"؟ سبحان الله؟ تنزيه الله –تبارك وتعالى– عن كل ما لا يليق به من العيوب والنقائص والآفات، كلمة سبحان: أي تنزيه جميل.

أشياء ينبغي ان يُنزَّه عنها الله تعالى:

قال العلماء أن الذي ينبغي تنزيه الله عنه ثلاثة أشياء لابد أن ننزه ربنا عنهم، لابد أن تقول حاشاه أن يكون ربنا هكذا، ما هم الثلاث أشياء؟

أولاً صفات النقص: فلا تقل ربنا يظلم –أعوذ بالله– لا تقل ربنا –سبحانه وتعالى– حاشاه يعجز، صفة نقص، لا تقل –سبحانه وتعالى– يجهل أعوذ بالله، الله –سبحانه وتعالى– العليم –سبحانه وتعالى– القادر على كل شيء.

ثانيًا: النقص في كماله، نعم هو ربنا قادر لكن...، أتعرفون كلام السلف الذي يورده ابن الجوزي في "تلبيس إبليس" وغيره، أن إبليس جاء إلى أحد العُباد فقال له: هل يستطيع ربك أن يضع هذا العالم كله في بيضة؟ فالعابد الذي لا يفهم شيء قال له: كيف يوضع العالم كله في بيضة لا، لا يستطيع فبذلك جعله يكفر..

فجاء إلى العالم فقال له: هل يستطيع ربك أن يضع العالم كله في بيضة؟ قال: وأدنى من ذلك وأكثر من ذلك، فهنا ممكن يقول لك أحدهم: ربنا قادر لكن ليس على كذا كذا، لا، لا نقول هذا بل ربنا قادر على كل شيء " إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" البقرة:١٤٨ سبحانه وتعالى.

ثالثًا: مشابهة المخلوقين، الله ينزل إلى السماء الدنيا مثل نزولنا نحن؟! لا، نزول يليق به –سبحانه وتعالى– يرانا مثلما نرى بعضنا نحن؟! –سبحانه وتعالى– "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ" الشورى:١١ لا يشبه المخلوقين –سبحانه وتعالى– في شيء "يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ" الفتح:١٠ يده مثل أيدينا؟! أعوذ بالله يد تليق به – سبحانه وتعالى– ما شكلها؟! كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك يكون أنزه عن النقص، عن النقص في الكمال، عن مشابهة المخلوقين، هذا معنى تسبيح الله.

أيهما أعظم التسبيح أم التحميد؟

سؤال أيهما أعظم التسبيح أم التحميد؟ وما الدليل؟ التسبيح أم التحميد أعلى؟ التحميد أعظم من التسبيح اسمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عندما سأله ابن القيم: أيهما أعظم الاستغفار أم التسبيح؟ فقال له: الاستغفار، قال له: لماذا؟ قال: لأن الثوب إذا تدنس ينبغي أن يُغسل ثم يُعطر.

يقول ابن تيمية الاستغفار الأول؛ لكي تطهر وبعد ذلك تسبح وتحمد، والتسبيح والتحميد.. قال العلماء: التسبيح تنزيه يعني نفي، إنما الحمد إثبات بحمد ربنا على النعم، غير لما تقول ربنا مش عاجز ربنا مش.. لا، لا أعوذ بالله هذا نفي، قالوا: أيهما أعظم النفى أم الإثبات؟ قال لك الإثبات، عندنا قاعدة تقول أن المثبت مقدم على النافي، كيف؟ إذا قيل أن محمدًا جاء –محمد الذي نعرفه هو محمد كذا –واحد قال محمد جاء–، واحد آخر قال لم أره، كان يجلس في آخر المسجد لكن هناك واحد رآه، أيهما يأخذ بقوله؟ مَن رآه، التانى لم يره أصلا..

فيقولون: المثبِت مقدَّم على النافي فالحمد هنا تثبت صفات الكمال له إنما التسبيح تقول لا هو ليس كذلك.

هو يقول –عز وجل– "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ"الاسراء:١ هذا معناه سبحانه المنزه عن كذا وكذا.

قال تعالى أول سورة الفاتحة "الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" الفاتحة:٢ يعني ليست المسألة أنه بماذا بدأ، انتبهوا..

"كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم" صحيح البخاري

قال لك جاء مع التسبيح حمد، أو عندما تركع ماذا تقول؟ سبحان ربي العظيم، تأتي بصفة، يعني لا تكتفي بالتسبيح فقط، يأتي بتسبيح ومعه تعظيم لكي يجتمع نفى وإثبات، هذا سر حكاية سبحان الله وبحمده لكي يجمع ما بين

التسبيح والتحميد وهنا الحديث يقول هذا، يعني بعدما قال "الحمد لله تملأ الميزان" وبعد ذلك جاء التسبيح لم يقل "والتسبيح يملأ" بل قال "وسبحان الله والحمد لله" وكرر الحمد مرة أخرى، إذن أيهما أعظم؟ الحمد أعظم من التسبيح.

طيب التحميد أم التهليل مش احنا بنقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله دبر كل صلاة –وسوف أقول لكم ما السر في قولها لنأخذها تربية وفوائد إيمانية– لماذا نقول هؤلاء التلاتة؟ أيهما أعلى لا إله إلا الله أم الحمد لله؟ لا إله إلا الله.. والدليل في حديث البطاقة، قال –صلى الله عليه وسلم–:"... فلا يثقل مع اسم الله شيء" صححه الألباني

عندما توضع لا إله إلا الله في كفة وأعمال كثيرة جدًا من الذنوب في كفة سوف ترجح لا إله إلا الله لأنها أثقل شيء، فقالوا لذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– أخبر والحديث في المسند بإسناد صححه ابن كثير، إن نوح عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه: "آمرك بلا إله إلا الله فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله..." وصححه الألباني

والحديث عند الترمذي وحسنه أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "ما قال عبد لا إله إلا الله قط مخلصًا، إلا فتحت له أبواب السماء، حتى تفضي إلى العرش، ما اجتنبت الكبائر" وحسنه الألباني

فقولوا لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، إذن أخدنا ثلاث كلمات في الحديث، فقط عليكم أنتم أن تحفظوا الحديث، عليكم مقرر حفظ.

مقاييس الإيمان

النبي –صلى الله عليه وسلم– قال في أول الحديث "الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض والصلاة نور" الصلاة معروفة، لماذا خصّها بالنور؟ قال: لأنها تمنع من المعاصي وتنهى عن الفحشاء وتهدي إلى الصواب فكأنها مثل المصباح، مثل السراج، مثل الكشاف الذي يوضح لك الدنيا وهذا يعطينا معنى قاله العلماء إذا أردت أن تزن نفسك، تريد أن تعرف قدرك عند ربنا؟ فالوزن يكون بثلاثة أشياء تعرفك مَن أنت.. الصلاة، القرآن، الذكر، هؤلاء الثلاث هم مقاييس الإيمان فأنت كثير الذكر.. أَبْشر، الله –تبارك وتعال– أخبر أن "وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا" الأحزاب:٣٥

إذن الذكر والقرآن، نحن دائمًا نتكلم أنه مَن أَحَب الله أَحَب كلامه وقال عثمان لو طهرت قلوبنا ما شبعت من كلام ربنا فالقرآن يبين؛ تحب القرآن؟ وتحب تقرأ القرآن؟ وتحب ترتيل القرآن؟ وتحب تفسير القرآن وتدبر القرآن والعمل بالقرآن؟ أَبْشر، والصلاة أنت درجتك فيها كم من عشرة؟ خمس صلوات لو أعطيت نفسك كل يوم درجتين على كل صلاة تعرف أنت كم من عشرة ؛ الفجر صليته اليوم في وقته؟ الثلاث صلوات الماضية فاتوا الظهر والعصر والمغرب صليتهم في أوقاتهم؟ وإن شاء الله تصلي العشاء في أول الوقت، جعلت الصلوات في أول الوقت؟ أَبْشر

معنى هذا أنك أدركتها في أول الوقت، الحمد لله في والتركيز في الصلاة؟ خشوع الصلاة ما أخباره؟ هذا هو الذي يجعل لك وزنك ويظهرك؛ فلذلك الصلاة نور وفي الحديث أن النبي –صلى الله عليه وسلم– فيما روى الإمام أحمد والدارني لكن الشيخ الألباني أشار إلى ضعف في هذا الحديث أن "مَن حافظ عليها –أي الصلاة– كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة ومَن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا نجاة ولا برهان" قالوا أيضًا أول معنى الصلاة نور؟ الكشاف.

المعنى التاني: أنها سبب لإشراق نور العلم في قلبك لذلك كانوا إذا استعصت عليهم مسألة قاموا فصلوا ركعتين ثم ناجى الواحد منهم ربه، وقال: اللهم يا معلم إبراهيم ويا مفهم سليمان علمني وفهمني "وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ" البقرة:٢٨٢ ومن أعظم أسباب التقوى الصلاة وعندنا إثبات لذلك أن الصلاة تقوى لما قال ربنا تبارك وتعالى "لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ" هذا البر اللي سيقول بعد ذلك أن الذي يفعل تلك الأوصاف الستة يكون صادقًا ومؤمنًا وتقيًا، مَن هو؟

فقال "وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ" البقرة:١٧٧

"قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ" المؤمنين ١:٢

انظروا.. عندما أراد أن يعرفنا المسلم الذي هو فقط من الخارج، من المؤمن الصادق، أراد أن ينقلنا من الإسلام للإيمان، اقرأ سورة المعارج يقول تعالى "إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ" المعارج ١٩:٢٢

اسمع هذه الآيات ماذا تقول؟ "إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ" المعارج ٢٢:٢٣ صلِّ كتير، داوم على الصلاة تصبح من الناس الذين تحقق فيهم الإيمان؛ لكن عجيب جدًا أنه قال في آخر صفات هؤلاء قال "وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ" المعارج:٣٤

لماذا دائمون ويحافظون؟ قال لك لأنها انتقال من الإسلام إلى الإيمان، الأول كانوا يصلون لكن الصلاة يعني –مش حاسس يا شيخ! مش مشكلة، لسه قلبي مش جاي!، مش مشكلة كمل وابدأ داوم على الصلاة.. واعمل إيه؟

الصفات التانية "فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ للسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُون إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ" المعارج٢٤:٣٤

افعل هذه الأعمال التي هي: تصدق، يقين وإيمان وإشفاق من اليوم الآخر، حافظ على نفسك وخاصةً فرجك، ابتعد عن الشهوات وابتعد عن النساء وابتعد عن هذه الذنوب؛ لأنها ستضعف إيمانك، كُن وفي، كُن بمعنى الأمانة

الحقيقية تفي بعهد الله –عز وجل– وتكون أمينًا لو بقيت بهذه المعاني وبشهادتك قائم إذا استُشهدت تشهد بالحق إذا أنت هكذا فيكون ذلك إيمان، إذن أصبحوا "عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ" أصبحت حفاظ، لم تعد ديمومة، لم يُصلِّ هكذا بلا روح، أصبت الصلاة روح ومعنى وخشوع وإحساس فهمتوا أنا أعطيكم كبسولات عمليه قرآنية.

معنى العبودية:

ما السر في سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله بعد الصلاة، ما التسبيح يا جماعة؟ ما هو تنزيه التحميد؟ وصفه بالكمال والثناء على الله، لا إله إلا الله، الله أكبر تكبير وتعظيم انظروا ما معنى العبودية؟

ما معنى لا إله إلا الله؟ يعني لا معبود بحق إلا الله، ما معنى عبادة؟ حب تام، ذل تام، حب وذل، حب وخضوع، قال لك مَن يسبح يعرف عيبه؛ لأنك تقول أنا أنزِّه الله عن الظلم.. إذن مَن الذي يظلم؟ البني آدم، أنا أنزِّه الله عن الكذب.. ومَن الذي يكذب؟ البني آدم، أنا وأنت عندنا صفات نقص، فعندما تعرف صفات نقصك وتقول: سبحان الله فعندما تتعجب من شيء تقول سبحان الله لأن عقلك هنا قادر على الاستيعاب، لأنك لديك نقص في المعرفة فهنا التسبيح يجعل عندك ذل، والتحميد؟

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ" الإسراء:١١١، الحمد لله، الحمد لله يا رب، الحمد لله إن ربنا ربنا، فتحمد ربنا فتحبه، بتحمده على نعمه فتحبه، إذن الحمد يجلب حب والتكبير؟ تعظيم، إذن اعمل المعادلة.. ذل بالتسبيح، حب بالتحميد، تعظيم تساوي "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" الذاريات:٥٦ تساوي عبادة.

علمت لماذا؟ أنت تجددها كل صلاة لكي تجدد المعنى الذي خُلقت من أجله، الذي هو الذل والحب والتعظيم لله –تبارك وتعالى–.

عرفنا الصلاة نور وهي نورٌ لصاحبها في القبر، كان أبو ذر يقول اسمعوا الوصايا صلوا ركعتين في الظُلَم لظلمة القبر وهي نور على وجه صاحبها في الدنيا وتكسوه جمالاً وبهاءً في الآخرة وهذا مصداق قول الله –تبارك وتعالى– في أصحاب النبي "سيماهم فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ" الفتح٢٩، "يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ" آل عمران:١٠٦ بماذا تبيض؟ بالأعمال الصالحة، ومن أعظمها الصلاة فهمنا الآن الصلاة نور.

"والصدقة برهان" كنا نفهم الصدقة برهان بمعنى أن الصدقة معناها الدليل هي بها معنى الدليل لكن من أي قلت لك لغةً الشعاع الذي يلي وجه الشمس وقالوا ولذلك سميت البراهين براهين لوضوحها، الدنيا شمس فعندما أقول لك والدليل على ذلك الدنيا واضحة، يعني إذن استُخدمت كلمة البرهان في معنى الدليل لأن وضوحه مثل ضوء الشمس بالظبط "الصدقة برهان".

إذن فهمنها، شعاع الشمس الذي هو واضح جدًا فالصدقة واضحة الدلالة على صدق الإيمان، لماذا الصدقة؟ عد معايا كلمة صدقة وصدق من مادة واحدة عندما أبحث في المعجم على كلمة صدقة أذهب عند الصاد والدال

والقاف والصدق نفس الكلمة؛ كأنه قال الصدقة دليل الصدق لذلك تجد الشرع يقول لو أنت صادق إذن لابد أن تبين هذا الكلام بإنفاق لو أنت تقي حقًا لابد أن تنفق في السراء والضراء "أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِين الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء" آل عمران١٣٣:١٣٤

دائمًا يتكلم على الإنفاق على أنه دليل من أدلة صدق هذا الإنسان "وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا" الإنسان٨:٩

فيقول النبي –صلى الله عليه وسلم– "الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار" صححه الألباني

ويقول النبي –صلى الله عليه وسلم– "كلُّ امرئٍ في ظلِّ صدَقتِه حتى يقضى بين الناس" صححه الألباني

ولما تقول أنا مازلت في أول الطريق –لما الدنيا تلخبط معايا– ماذا أفعل؟ أقول لك أنا أسميها الصيدلية الإيمانية عارف لما يكون في جيبك مضاد حيوي، فيتامين، مسكن، أي شيء تتعب منه خذ المسكن، أو خذ هذا الفيتامين يظبط الدنيا لن تخسر شيء، أنا لا أعرف ما عندي الآن وأشعر بدوار.. خد هذا الفوار، بعض الأشياء تضعها في جيبك صيدلية إيمانية، من الصيدلية الإيمانية على رأسها –لما تجد الدنيا ملخبطة تصدَّق–.. لماذا؟

قلنا من قبل تطفئ الخطيئة، أنت فعلت ذنب ولا تعرفه، يعني قلت كلمة لا تعطي لها بالاً تهوى بها في النار سبعين خريفًا –مشخبطالك الدنيا خالص تعمل إيه؟– تتصدق، لما تضيق عليك الأمور، لما ينزل بك كرب شديد تصدق؛ الصدقة تطفئ هذه الخطايا لذلك الصدقة دليل الصدق، برهان الصدق، دليل الإيمان، الصدقة لها هذه الجوايز كلها؛ فعليكم بالصدقة النبي –صلى الله عليه وسلم– قال للنساء يا معشر النساء تصدقن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار" صحيح البخاري

الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية

"والصبر ضياء" أيهما أفضل الصبر على الطاعة أم الصبر عن المعصية؟ الصبر على الطاعة لأن الطاعة فيها حبس النفس وإتعاب البدن؛ أما الصبر عن المعصية "فكف، ابعد"، إنما الصبر على الطاعة قم، اقف، أنت واقف تصلي قيام.. ظهري اتقطم لا أستطيع الوقوف، إنما الصبر عن –يا عم لا تذهب في هذا الطريق الشارع مليء بالمصائب لماذا تذهب هناك انتهِ "كفَّ"، لو صبرت على الطاعة توفق إلى طاعة.

انظروا ماذا قال العلماء لكي يسعدوكم: أما من حيث الصبر فالأفضل الصبر على الطاعة، أما من حيث الصابر فأحيانًا يكون الصبر عن المعصية أشد، فلو أن رجلاً هُيئ له شرب الخمر ودُعي إلى ذلك وهو يشتهيه ويجد معاناة من عدم الشرب_ يعني ايه الحاجة قدامه كتير أوى بقى _ فهو أشد عليه من أن يصلي ركعتين، صح؟ لو امرأة كما وصف النبي –صلى الله عليه وسلم– في السبعة الذين يظلهم الله في ظله..

"ورجلٌ دعته امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ إلى نفسِها فقال: إني أخافُ اللهَ" صحيح البخاري كفعل امرأة العزيز بيوسف صعب جدًا هنا أنك تحجب نفسك؛ الصبر هنا ودفع هذا بلا شك أشد من أنه يقوم الآن يصلي ركعتين أو يفعل كذا

فقالوا تختلف باختلاف الأحوال..

"الصبر ضياء" إذن لماذا الصبر ضياء؟

قالوا ثلاثة أشياء:

الصبر ضياء لأنه لا يزال العبد مستضيء بنور الحق على سبيل الهدى وتجنب الردى فهو ضياء، يعني مثل الكشاف الذي قلناه في الصلاة أنه أيضًا مازال يمده بالوضوح، ويأخذ بأيديه لذلك يستضيء بنور الحق طالما كان كذلك، الصبر ضياء لأن الثواب على الصبر يكون ضياء للقلب، قلبك ينير بالصبر.

الصبر على الطاعة حتى يؤديها وعن المعصية فلا يعملها، وعلى الأقدار فلا يجزع، كل ذلك يؤثر في القلب ويبعد أثر الظلمة.

القول الثاني والثالث واحد، إذن أصبحوا شيئين، إما أن معناها لا يزال مستضيئًا والأمر الثاني أن الثواب على هذا الصبر ينير قلبك.

قال النبي –صلى الله عليه وسلم– "والصبر ضياء" هنا فائدتين مهمتين: ربنا لما تكلم عن التوراة قال سبحانه وتعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ" الأنبياء:٤٨

وقال "إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ" المائدة:٤٤ إذن قال أنه وصف التوراة بالضياء ووصفها بالنور، في القرآن قال " قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ" المائدة:١٥ البعض قال أن النور النبي –صلى الله عليه وسلم– ووارد هذا الكلام عن السلف وليس معناه أنه خُلق من نور قطعًا، إنما هو نور لنا –صلى الله عليه وسلم– وليس أنه خُلق من نور، والبعض قال أن النور هو القرآن، وبعد ذلك "وَكِتَابٌ مُّبِينٌ" كأن هذا من باب العطف لمزيد التأكيد، البعض قال ذلك.

قيل أن القرآن وصف بالنور والقرآن نور والتوراة قال فيها ضياء ونور لماذا لم يقل القرآن ضياء؟ لماذا التوراة ضياء؟ ما الفرق بين الضياء والنور؟ الضياء فيه حرارة وإشراق وإحراق، إنما النور إشراق فقط، تمام إذن لماذا يقول التوراة فيها إشراق وإحراق ويأتي على القرآن يقول لا، إشراق فقط؟ لماذا؟!

لأن التوراة كان فيها من الآثار والأغلال والأثقال التي خففها الله عنا هذه هي التي في خواتيم سورة البقرة، لما دعا المؤمنون قالوا: "وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا" البقرة:٢٨٦ ماذا تعني؟ كان عليهم شدة، خدوا مثال لما قال ربنا لهم توبوا لما اتخذوا العجل قال لهم "اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ" النساء:٦٦

إنما نحن لما قال لنا ربنا توبوا، ماذا نفعل؟ قال النبي –صلى الله عليه وسلم– "الندمُ توبةٌ" صححه الألباني

عندما جاء ماعز بن مالك إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– وقال له طهرني قال –صلى الله عليه وسلم– " ...ويحك! ارجع فاستغفرِ اللهَ وتُبْ إليهِ..." صحيح مسلم فنحن عندنا الأمر تيسر فما جعل الله علينا في الدين من حرج؛ فالتوراة فيها أغلال فيها شدة لذلك وُصفت بالضياء، أما القران فوُصف بالنور لأنه لا إحراق فيه "يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ" البقرة:١٨٦.

بعد ذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– قال "والقرآن حجة لك أو عليك" ربنا –سبحانه وتعالى– قال "وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا" الإسراء:٨٢

قال بعض السلف "ما جالس أحد القرآن فقام عنه سالمًا إما أن يربح وإما أن يخسر" مَن يجلس يقرأ في المصحف لا يخلو من أحد أمرين إما أن يأخذ الجائزة، وإما أن يخرج بالخسران، قال الله: "وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ" يبقى شفاء ورحمة للمؤمنين "وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا".

كيف يكون القرآن حجة لنا لا علينا؟

قال أبو موسى الأشعري "إن هذا القرآن كائنٌ لكم أجرًا وكائنٌ عليكم وزرًا فاتبعوا القرآن ولا يتبعكم القرآن فإن من اتَّبع القرآن هبط به على رياض الجنة ومن اتَّبعه القرآن زخَ في قفاه فقذفه في النار".

إذن القرآن يكون حجةٌ عليك، كيف نؤدي حق القرآن؟ خمسة أشياء لكي يكون حجة لنا حتى لا نكون هاجرين للقرآن، ابن القيم قال هجر القرآن في خمسة أشياء مَن يتقيهم يكون القرآن حجةٌ له:

أولاً: تلاوته وإن استطاع حفظه أو حفظ بعضًا منه

ثانيًا: التدبر " أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ" النساء:٨٢ والتدبر غير التفسير، التفسير فهم المعنى ولكن التدبر هو التركيز القوي ولماذا قال كذا؟ والمعنى هنا؟ ولماذا قال "الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ" الرعد:؟١ ولماذا هنا قال كذا؟ وتقرأ وتسأل أهل العلم لماذا كذا؟ ولماذا كذا؟.

ثالثًا: تحاكم، يعني مثلاً في وجود مشكلة أنا أريد حكم فصل، هذا القرآن يحكم بيننا تحاكم بالقرآن.

رابعًا: العمل بالقرآن، إذا أنا فهمت بعد ذلك عرفت فالزم.

خامسًا: استشفاء بالقرآن، أنت عندك مرض عضوي ضع يدك عليه واقرأ عليه الفاتحة كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم– للصحابي: "وما يدريك أنها رقية" صحيح البخاري، أو أنك تقرأ المعوذات حتى تتقي الحسد والعين وكل هذا الكلام، أو تقرأ خواتيم سورة البقرة "ومن قرأهما في ليلة كفتاه" صحيح البخاري أي تكفه كل شر وهكذا تسترقي بالقرآن من أمراض الأبدان ومن أمراض القلوب، تنزل آية على قلبك تطهره من الحسد ومن الغل ومن الضغينة ومن هذه المشاكل، فهو شفاءٌ لما في الصدور، إذن حتى يكون القرآن حجة لنا علينا أن نصنع هذه الخمس.

قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "كل الناس يغدو فبائعٌ نفسه فمعتقها أو موبقها" لا يوجد أحد لا يعمل، من أين يأكل؟ كيف يعيش؟

كل الناس تتحرك، أحدهم يتحرك في طريق ربنا؛ فبالتالي يعتق رقبته من النار وآخر يعمل لحسابه وثالث يعمل للدنيا وغيره يعمل بعيد عن الهدف الذي خُلق من أجله، فكل الناس يغدو أي كل الناس يسير..

وانتبهوا "كل الناس يغدو" قلنا أن هذا الوقت بعد صلاة الفجر، وهذا الوقت يكون قرابة البكور الذي هو بداية مع شروق الشمس من المفترض في هذا الوقت –كانت عائشة تقول "عجبت ممن ينام بعد الفجر كيف يُرزق" لأنه

وقت تُقسم فيه الأرزاق فبالتالي "كل الناس يغدو"، كل الناس يسير في أول النهار– من المفترض أن يذهب إلى عمله ليكسب قوت يومه..

"كل الناس يغدو فبائعٌ نفسه"، بائعٌ نفسه "إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ" التوبة: ١١١ أنت سوف تبيع؟ سوف تضحي؟ سوف تضحي بالدنيا لأجل الله؟ سوف تضحي بأشياء كثيرة من صدقات، من جهد، من كذا لتكون كلمة الله هي العليا؟ "فبائعٌ نفسه"، قالوا يبيعها بأن يؤثر الآخرة عليها، "فبائعٌ نفسه" يعني من الدنيا، "فمعتقها أو موبقها" فيكون من "الَّذِينَ اشْتَرُواْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ" البقرة: ١٦

قال الحسن البصري " المؤمن في الدنيا كالأسير يسعى في فكاك رقبته لا يأمن شيئًا حتى يلقى الله" وقال محمد بن الحنفيه "إن الله جعل الجنَة ثمنًا لأنفسكم" فهل تبيعون؟ هذا هو، تبيع يعني تضحي يعني تبذل.

القصة سلعة الله الغالية سلعة ثقيلة، ثمنها ثقيل، فتدفع؟ أم أنت زاهد فيها؟ أم أنت ترى أنها لا تسوى؟ يعني كم تساوي عندك؟ الجنة كم تساوي عندك؟ تتصدق بخمس جنيهات؟ هذه هي التي تأتي لك بالجنة؟! تصلي خمس صلوات وانتهى؟ هذه هي التي تأتي لك بالجنة؟!

أنت ترى أن الجنة هي أنك تصلي خمس صلوات وتتصدق باليسير وتعمل كم عمل خير وانتهى وبعد ذلك نفسي نفسي! أنت قدرتها كذلك؟! خذ على قدر ما قدرت، أنت قدرتها سلعة الله الغالية فدفعت فيها الغالي والنفيس، حتى نفسك عندك استعداد أن تبذلها في سبيل أن يرضى الله عنك؟ إذن " كل الناس يغدو فبائعٌ نفسه فمعتقها أو موبقها " هكذا انتهينا من الحديث وفوائد الحديث.

أهم ما ورد في فوائد هذا الحديث:

الفائدة العقدية التي أخذناها من الحديث: هي إثبات الميزان.

وأهم فائدة تربوية أخذناها من الحديث: أن التخلية نصف الدين، نصف الإيمان، أنك تطهر نفسك بالتوبة من الذنوب والمعاصي، أنك تسعى في أنك تتغير، هذا نصف الموضوع، وبعد ذلك تتحلى بالأخلاق الحسنة هذا النصف الثاني.

ومن الفوائد الإيمانية:

قال ابن رجب "وقد اشترى جماعة من السلف أنفسهم من الله بأموالهم ،فمنهم مَن تصدق بماله "مثل سيدنا أبي بكر خرج من ماله كله، وسيدنا عثمان جهز جيش العسرة فقال له النبي –صلى الله عليه وسلم–: "ما ضَرَّ عثمانُ ما عمل بعدَ اليوم" حسنه الألباني

لكي تعرف أن كل الكبار اشتركوا في الصدقة، سيدنا عمر خرج من نصف ماله، خرج من نصف ماله ، "الصدقة برهان" سيدنا سلمان الفارسي كان يثلث المال ثلاثًا، ثلث لأولاده أكل وشرب ومتطلبات ومصاريف البيت وثلث للعمل وثلث صدقة، تستطيع فعل ذلك أنت؟ لو أنت دخلك ثلاثة ألاف جنيه، تصرف على الأولاد ألف جنيه

وتضع ألف جنيه للتجارة وتتصدق بألف جنيه!، ليست سهلة! فهؤلاء كانوا يجتهدون في الأعمال الصالحة،كان بعضهم مثل سيدنا أبو هريرة كان يسبح الله اثنا عشر ألف مرة، لماذا اثنا عشر ألف ولم تكن عشرة، أو خمسة، أكثر أو أقل لماذا اثنا عشر؟، قالوا لأن كان في هذا الوقت إذا قُتل شخص خطأ فعلى القاتل دفع الديَه، والديَه تُقدَّر بمائة من الإبل، وكانت المائة من الإبل في عهد سيدنا أبو هريرة تساوي اثنا عشرأ درهم، يعني كأن أنا لو قُدِّرت أُقَدَّر باثني عشر ألف درهم وليس معي اثنا عشر ألف درهم أدفعها كل يوم، أدفع اثنا عشر ألف جنية مثلاً ماذا أفعل؟ يعني إذا كان أقل الصدقة درهم لو اعتبرنا نحن مثلاً أقل صدقة جنيه مثلاً، أقل شيء جنيه ماذا أفعل؟

فالنبي –صلى الله عليه وسلم– قال "فكل تسبيحة صدقة" صحيح مسلم فأنا لن أدفع بالجنيهات أنا سوف أدفع بالتسبيحات فكيف حسبهم؟ اثنا عشر درهم جعلهم اثنا عشر تسبيحة وقال "أسعى في فكاك رقبتي، أدفع ديتي كل يوم" فكان يسبح الله اثنا عشر ألف مرة في اليوم والليلة.

قال الحسن بن آدم "إنك تغدو وتروح في طلب الأرباح فليكن همك نفسك فإنك لن تربح مثلها أبدًا" يعني أنك تُعتق رقبتك من النار، فكانوا يعتقون رقابهم بالصدقات، بالتسبيح، بالأعمال الصالحات، وهكذا ينبغي أن يكون عليه حال الواحد منَّا، قال النبي –صلى الله عليه وسلم– "الطُّهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض، الصلاة نور، والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجةٌ لك أو عليك،كل الناس يغدو فبائعٌ نفسه فمعتقها أو موبقها".

أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وصلِّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله تفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36